ویژهٔ تراجم، کتاب‌شناسی، نسخه‌پژوهی، نقد کتاب

کتاب شیعه

سال اول، شمارهٔ دوم، پاییز و زمستان ۱۳۸۹ — دوفصلنامهٔ تخصصی مؤسسهٔ کتاب‌شناسی شیعه

ISSN: 2228-5679

۲

ابراهیم بن حکم بن ظهیر ◆ جایگاه علمی اجتماعی ابن مخلّد، از اساتید سنّی مذهب شیخ طوسی ◆ حقیقة الإیمان شهید ثانی با إیضاح البیان زین‌الدین بن محسن عاملی ◆ چگونگی مرجعیت و نشر فتاوی شیخ اعظم انصاری ◆ حاج شیخ جعفر شوشتری ◆ دکتر سید محمد علی شهرستانی ◆ زندگی‌نامه‌های خودنوشت: شیخ حسین واعظ شوشتری، محمد تقی نیرتبریزی، میرزا محمّد حسین نائینی و شیخ محمد غروی سندی از حدود هشتاد سال پیش راجع به تحول در حوزه نجف اشرف ◆ پنج نامه منتشر نشده از استاد فقید دکتر ابوالقاسم گرجی ◆ هبه نامه و وصیت نامه سید دلدار علی ◆ سه اجازه از بزرگان حلّه ◆ اجازه ابن ابی جمهور به سید حسن بن ابراهیم بن یوسف بن ابی شبانه بیست و پنج رساله در موضوع نذر بعد از وفات ◆ نگاهی به الاخبار الدخیله ◆ الأربعین فی إمامة أمیر المؤمنین ◆ آفاق نجف گزارش سفری به ریاض ◆ تصحیح أعیان الشیعة ◆ نامه شیخ آقا بزرگ تهرانی به آیة الله ملا محمد جواد صافی نکته‌ها ◆ آثار نویافته

کتاب پیوست: مُلحق امل الآمل

دور الشريف الحسين بن موسى وولَديه في إمارة الحجّ

الشيخ حسين الواثقي

سال نهم اول شماره دوم بهار تا تابستان ۱۳۹۳

إنّ البحث عن دور الشريف الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى العلوي الذي كانت له شخصيّة سياسيّة واجتماعيّة ممتازة وولديه العظيمين العَلَمَين الكبيرين الشريف الرضي محمّد بن الحسين والشريف المرتضى عليّ بن الحسين من رجال الشيعة الاثني عشريّة الإماميّة في إمارة الحجّاج وموسم الحجّ، يتطلّب دراسةً كاملةً واسعةً مستقلّة. وندعو الله تبارك وتعالى أن يبعث أصحاب الهمم العالية لتحقيق هذه الأُمنية. وقد كتب مقالاً نافعاً في نفس الموضوع المحقّق الجليل المرحوم الشيخ فارس تبريزيان الحسّون. وطبعه في مجلة ميقات الحجّ العربيّة. العدد ٣، ص ٨٤ - ٩٦. وأمّا نحن فنذكر هنا ما وجدنا في هذا الموضوع لعلّه يفيد الباحثين.

وننقل في هذا المقال نصّ العهدَين والفرمانَين الذَين أصدرهما الخليفة العبّاسي بشأن الحسين بن موسى العلوي وولده الشريف الرضي لإمارة الحجّ. وهو ممّا يُعرف ويُطبع ويُنشر لأوّل مرّة. ونشكر الله تعالى على هذا التوفيق.

١. في تلك الآونة كان أمير الحجّاج أميراً على الحرمين المباركين مكّة المعظّمة والمدينة المنوّرة أيضاً. والحكّام والأُمراء المحلّيّين يُنصبون من قِبله أو بمشورته. وأمره نافذ فيهم. تجد أدلّة على هذا المعنى في مثل ما قال الخليفة القادر[كذا] بالله العبّاسي للحسين أبي أحمد العلوي والد الشريف الرضي: «قُل لولدك محمّد... : ألم نولّه النقابة؟ ألم نولّه المظالم؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز، وجعلناه أمير الحجيج؟»[١].

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٨.

٢. ابتدأت إمارة أبي أحمد الحسين من سنة ٣٥٤ هـ إلى سنة ٣٨٠ هـ ودامت إمارة ولده الشريف الرضي إلى سنة وفاته ٤٠٦ هـ ثمّ إمارة الشريف المرتضى إلى سنة ٤٣٦هـ وهي سنة وفاة الشريف المرتضى. وقد كثرت في تلك السنين الاضطرابات السياسيّة والاجتماعيّة والأمنية في العراق والحجاز والطرق المنتهية إليهما. فلذلك لم يذهب ركب الحجّاج من العراق إلى الحرمين المباركين في بعض الأعوام. وفي البعض الآخر لم يرافق أمير الحاجّ قافلة الحجّاج بنفسه. بل كان ينصب نائباً من قِبله ليرافق الحاجّ من بدء السفر إلى نهايته. وهذا الأمر كان رائجاً في أيّام إمارة الرضيّ والمرتضى.

٣. قد ورد ذكر الشريف أبي أحمد الحسين العلوي في قائمة أُمراء الحجّ في موسوعة مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة لدار الفرقان للأستاذ أحمد زكي يماني. ولم يرد اسم الشريفين الرضي والمرتضى. بل ورد اسم أبي عبدالله أحمد بن محمّد بن عبدالله العلوي. الذي ناب عن الحسين وعن الرضي في بعض السنين. وأيضاً ذكر السيّد الأمين في أعيان الشيعة إمارة أبي أحمد الحسين العلوي على الحجّاج في ترجمته.[٢]

٤. ورد في كتاب موارد الاتّحاف في نقباء الأشراف:

أبوعبدالله أحمد بن أبي علي محمّد بن أبي الحسين محمّد الأشتر بن عبيدالله بن علي بن عبيدالله بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر ابن الإمام علي زين العابدين عليه السلام الشريف العفيف. كان كريماً. جمّ المروّة. واسع الحال. الأمير النقيب بالكوفة. حجّ بالناس أميراً على الموسم ثلاث عشرة حجّة. نيابةً عن الطاهر أبي أحمد الموسوي. وولي نقابة الطالبيّين بالكوفة مدّة عمره. ومات سنة تسع وثمانين وثلاثمائة. ذكره أبوالحسن العمري في المَجْدي. وابن عِنَبة في العمدة. وابن مهنّا العبيدلي في - التذكرة -.

وقال ابن عنبة في وصف أبي عبد الله أحمد بن محمّد العلوي:

أمّا أبوعبدالله أحمد. فحجّ أميراً على الموسم ثلاث عشرة حجّة. نيابةً عن الطاهر أبي أحمد الموسوي. وولي نقابة الطالبيّين بالكوفة مدّة عمره. ومات سنة تسع وثمانين وثلاثمائة.[٣]

نصّ عهد الخليفة الطائع لله إلى الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى العلوي (ت ٤٠٠هـ) بتقليد تسيير الحجيج إلى الحرمين الشريفين.

المنشئ: أبوإسحاق الصابي.

المصدر:

١. المنشآت المخطوطة المرقّمة ٧٤ ب. في كليّة الآداب في جامعة طهران. الورقة ١٥٦ - ١٥٧ حدودا.

٢. المنشآت المخطوطة المرقّمة ٣١٧ في مكتبة مدرسة المروي العلميّة بطهران. الورقة ١٢٢.

* * *

أمّا بعد. فإنّ أمير المؤمنين برعايته الحرمات. ومحافظته على الموات. وإيجابه حقّ ما تأكّدت له العصمة. وارتُهِنَت منه الخدمة. وعُرِفتْ في الطاعة آثاره. وتُلِيَتْ في الموالاة أخباره. يعتقد ربّ صنيعته عندك. ومضاعفة نعمته عليك. والإنافة بك على أعلى رُتَب ذوي الأسباب الواشجة والأنساب الشابكة. ولا سيّما وقد جمعتَ إلى القربى اضطلاعاً بالأعباء. وإلى الموالاة قياماً بحقّ الاستخدام والاستكفاء. فلن يعدم أمير المؤمنين ما يكله إليك ويعتمد عليك. رعاية الحقّ وصلة الرحم. وصواب التدبير. وإصلاح المهمّ. والله يُحسن لأمير المؤمنين الاختيار. ويمدّه بالتوفيق والصنع في مجاري الأقدار.

---

٢. موسوعة مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة. ج ٣. ص ٥٢٠ - ٥٢٢.

٣. أعيان الشيعة. ج ٦. ص ١٨٣ - ١٨٧.

٤. موارد الاتّحاف في نقباء الأشراف. ج ٢. ص ١٠٤.

٥. عمدة الطالب. ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

ولمّا قلّدك أمير المؤمنين النقابة على الطالبيّين، فبان له فيها محمود سيرتك، وظهر من أفعالك ما دلّ على سلامة سريرتك، رأى أمير المؤمنين أنّ من حقّ العادة التي عوّده الله بها الصلاح، وأجرى له فيها طائر النجاح، أن يزيدك فضلاً وإحساناً، ولا يألوك إنعاماً وامتناناً، ويستأنف بك من إعلاء الدرجة ورفع الرتبة ما يحمد رأيك في الخدمة والاجتهاد، ويستمرّ معه على طريقتك في الاستقامة والسداد.

فأنهى معزّ الدولة - أحسن الله حياطته - أمر رفاق الحجيج الشاخصة من العراقيْن، وأشار بتقليدك تسييرها إلى الحرمين، والاعتماد عليك في حمايتها، وتولّيك الحرب والأحداث بها، فوافق رأي معزّ الدولة - تولّى الله كفايته - الصواب، ووقع عند أمير المؤمنين موقع القبول، فاستخار الله وأمضاه، استخارة لاجيء إليه، معوّلٍ في سرّه وإعلانه عليه، وقلّدك أمر رفاق الحجيج الشاخصة من مدينة السلام والبصرة والكوفة، واثقاً منك بما ترجع إليه من صحّة الدين، وثبات اليقين، وحُسن الاستقلال، واستخفاف الأثقال.

فتَوَلِّ ما وَلاك أمير المؤمنين بصدرٍ له منشرح، وأملٍ فيه منفسح، وهمّةٍ ماضية، وعزيمةٍ نافذة، وقُمْ فيه قيام مثلك، وتَجَرَّدْ إليه تجرُّدَ مَنْ حلّ مِن الغَناءِ بمحلّك، وحُطِ الحاجّ حياطةً تامةً، وذُدْ عنهم ذيادةً عامّةً، ورَيِّفْهُمْ في المسير رفاهيةً معتدلةً، ورامِ عنهم جميعاً مراماةً متّصلةً، وساوِ في ذلك بين قويّهم وضعيفهم، ومشروفهم وشريفهم، فإنّهم لله مُتاجِرُون، وفي طلب ثوابه مسافرون، وإلى بيته الحرام سائرون، ولقبر نبيّه عليه [وآله] السلام زائرون، يتجشّمون بُعد الشُّقّة، ويكابدون شقّة المشقّة، ابتغاءَ للثواب، والحظوة في المآب.

فمعاونتهم واجبةٌ، ومعاضدتهم مفترضةٌ لازمةٌ، حتّى تشملهم السلامة في الأجسام والأحوال، والأمنة في الحلّ والترحال، بادئين وراجعين، مقيمين ومنصرفين، بعد أن يَقْضُوا تَفَثَهم، ويوفوا نذورهم، ويؤدّوا مناسكهم، ويُرضوا الله مولاهم ومالكهم.

وامْنَعْهم مع ذلك من الازدحام، ورَتِّبْ قوافلهم على النظام، وأَوْرِدْهُم المناهل، واحظُرْ عليهم فيها التجادب، واصْدُرْا بهم عنها بعد الاكتفاء، وعند تكافيهم قاطبة في الارتواء، وسَيِّر في أوائل القوافل من يصدّ عن التسرّع، وفي حواشيها من يحجز عن مفارقة المنهج، ولْيَكُن مسيرك على الشَّأْفَة لئلاّ ينقطع منقطع من الجماعة، واكتب إلى أمير المؤمنين من كلّ منزلٍ تنزله بما يهبه الله لك، ويسهّله من استتباب ما كلّفه إيّاه، واطّراده على ما يؤثره ويهواه، ليعرف حقيقة اجتهادك، ويكون من وراء زيادتك وامدادك، إن شاء الله تعالى.

إمارة الشريف الرضي على الحجّ والحجّاج

إنّ الشريف الرضي في أوّل شعبان سنة ٣٨٠ هـ تولّى إمارة الحجّ ونقابة الطالبيّين وأمور المساجد.

١. قال ابن عنبة في ترجمة الشريف الرضي:

ذو الحسبين، يكنّى أبا الحسن، نقيب النقباء، وهو ذو الفضائل الشائعة، والمكارم الذائعة، كانت له هيبةٌ وجلالة، وفيه ورعٌ وعفّة وتقشّف، ومراعاة للأهل والعشيرة، ولي نقابة الطالبيّين مراراً، وكانت إليه إمارة الحاجّ والمظالم، كان يتولّى ذلك نيابةً عن أبيه ذي المناقب، ثمّ تولّى ذلك بعد وفاته مستقلاً، وحجّ بالناس مرّات.[٦]

٢. إنّ قسماً من أشعار الشريف الرضي - وهو أشعر قريش - ثمرة السنين المتوالية التي مضت في الذهاب إلى الحجّ والإياب عنه في حياة والده وفي زمن إمارة نفسه، وهذا القسم الكبير من شعره تُسمى قصائده (الحجازيّات)، ومنها مخطوطة في المكتبة الوطنية (ملّي) بطهران، الرقم ١٠٢٧/٧، في ١٩ صفحة، وقد اهتمّ بدراسة الحجازيّات الدكتور زكي مبارك في كتابه **عبقريّة الشريف الرضيّ**[٧]. وكذلك لنادر عبد الكريم حقّاني كتابٌ مطبوع في نفس الموضوع.[٨]

ويقول الشريف الرضي مهنّئاً والده بعيد الأضحى سنة ٣٨٠ هـ:

فَكَمْ يَوْمٍ كَيَوْمِكَ قُدْتَ فِيهِ
عَلَى الغُرَرِ المَقَانِبَ والرِّكَابَا

إِلَى البَلَدِ الأَمِينِ مُقَوَّمَاتٍ
يُمَاطِلُهَا التَّعَجُّلَ وَالإِيَابَا

بِحَيْثُ تُفَرِّغُ الكُوُمُ العَطَايَا
حَقَائِبَهَا، وتَحْتَقِبُ الثَّوَابَا[٩]

وأنشأ أيضاً قصيدة هائيّة وهو في طريق نجد، وذلك في صفر سنة ٣٩٤ هـ، مطلعها:

تُرَى نُوَبُ الأَيَّامِ تُرْجِي صِعَابَهَا
وتَسْأَلُ عَنْ ذِي لِمَّةٍ مَا أَشَابَهَا[١٠]

٣. في الوافي بالوَفَيات قال:

أبو الحارث محمّد بن محمّد بن عمر العلوي، نقيب العلويّين بالكوفة، كان شجاعاً جواداً ديّناً، كانت إليه النقابة مع تسيير الحجيج، فحجّ بالناس عشر سنين، ينفق عليهم ويحمل المنقطعين، ويؤدّي الخفارة للعرب عن الركب من ماله، مات بالكوفة في جُمادى الأُولى ٤٠٣ هـ[١١].

أقول: هذا الزمان كان الإمارة للشريف الرضي على الحجّ، فعلى هذا كان أبو الحارث نائباً عن الرضي في هذا المهمّ، ولم يكن أميراً مستقلاً على الحجّاج.

نصّ عهد الخليفة الطائع لله إلى العالم الكبير والشاعر الشهير الشريف الرضيّ أبي الحسن محمّد بن الحسين الموسوي (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ) بنقابة الطالبيّين خصوصاً، والنظر في أُمور المساجد وعمارتها، وإمارة الحُجّاج إلى بيت الله الحرام، واستخلافه لوالده في الأُمور المذكورة.

التاريخ: مستهلّ شعبان سنة ٣٨٠ هـ.

المصدر:

١. المنشآت. المخطوطة المرقّمة ٤٩٥٧ في مكتبة الروضة

---

٦. عمدة الطالب، ص ٢٥٣.

٧. عبقريّة الشريف الرضي، ص ٢٥٦ - ٢٨١.

٨. حجازيّات الشريف الرضيّ. قراءة نقديّة في جماليّات التفكير والتعبير، الطبعة الأُولى، دار النهج، سوريا، حلب، ١٤٣١ ق.

٩. ديوان الشريف الرضي، ج ١، ص ٩٧.

١٠. ديوان الشريف الرضي، ج ١، ص ٧٣ - ٧٥.

١١. الوافي بالوفيات، ج ١، ص ١١٧، طبعة ألمانيا، طبقات أعلام الشيعة، القرن ٥ هـ، ص ١٨٤. وللتفصيل عن مدّة إمارته راجع: موسوعة مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، ج ٣، ص ٥٢١ - ٥٢٢.

الرضوية المقدّسة. الصفحات: ٨٠ - ٨٥.

٢. المخطوطة المرقّمة ٧٤ ب. في كلّيّة الآداب في جامعة طهران. الورقة ٩٢-٩٤.

٣. المنشآت. المخطوطة المرقّمة ٣١٧ في مكتبة مدرسة المروي بطهران. الورقة حوالي ٩٨ - ١٠٠.

* * *

هذا ما عهد عبدالله عبدالكريم الطائع لله أمير المؤمنين، إلى محمّد بن الحسين بن موسى العلوي الموسوي، حين وصلته به الأنساب، وتأكّدت له الأسباب، وظهرت دلائل عقله ولبابته، ووضحَتْ مخائل فضله ونجابته، ومهّد له بهاء الدولة، وضياء الملّة، أبو نصر بن عضد الدولة، وتاج الملّة، مولى أمير المؤمنين أدام الله تأييده، ما مهّد عند أمير المؤمنين من المحلّ المَكين، ووصفه به من الحلم الرزين، وأشار به فيه من رفع المنزلة، وتقديم الرتبة، والتأهّل لولاية الأعمال، وتحمّل الأعباء والأثقال.

وحيثُ رُعِيَتْ فيه، سابقة الحسين أبيه، في الخدمة والنصيحة، والمشايعة الصحيحة، والمواقف المحمودة، والمقامات المشهودة، التي طابت بها أخباره، وحسنت فيها آثاره. وكان محمّدٌ متخلّقاً بخلائقه، وذاهباً على طرائقه، علماً وديانةً، وورعاً وصيانة، وعفّة وأمانة، وشهامة وصرامة، وتفرّداً بالحظّ الجزيل من الفضل والأدب الجزل، والتوجّه في الأهل، والارتقاء في المناقب على أقرانه وأترابه، والإبراز على قُرنائه وأضرابه.

فقلّده ما كان داخلاً في أعمال أبيه من نقابة نقباء الطالبيّين، بمدينة السلام وسائر الأعمال والأمصار شرقاً وغرباً، وبُعداً وقُرباً، واختصّه بذلك جذباً بضبيعه، وإنافة بقدره، وقضاءً لحقّ رحمه، وترفيها لأبيه، وإسعافاً له بإيثاره فيه، إلى ما أمر أميرُ المؤمنين أباه باستخلافه عليه من النظر في المظالم، وتسيير الحجيج في أيّام المواسم، والله يعرف لأمير المؤمنين الخيرة فيما أمر ودبّر، وحسن العاقبة فيما قضى وأمضى، وما توفيق أمير المؤمنين إلاّ بالله، عليه يتوكّل، وإليه ينيب.

أمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين، وسيماء الصالحين، وعصمة عباد الله أجمعين، وأن يعتقدها سرّاً وجهراً، ويعتمدها قولاً وفعلاً، فيأخذ بها ويعطي، ويريش ويبري، ويأتي ويذر، ويورد ويصدر، فإنّها السبب المتين، والمعقل الحصين، والزاد النافع يوم الحساب، والمسلك المفضي إلى دار الثواب، وقد حضَّ الله أولياءه عليها، وهداهم في محكم كتابه إليها، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١٣]، وقال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١٤].

وأمره بتلاوة كتاب الله تعالى مواظباً، وتصفّحه مداوماً ملازماً، والرجوع إلى أحكامه فيما أحلّ وحرّم، ونَقَضَ وأبرمَ، وأثابَ وعاقبَ، وباعدَ وقاربَ، فقد صحّح الله بُرهانه وحُجّته، وأوضح منهاجه ومحجّته، فجعله فجراً في الظلمات طالعاً، ونوراً في المشكلات ساطعاً، من أخذ به سلم ونجا، ومن عدل عنه هلك وهوى، قال الله عزّ من قائل: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ* لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١٥].

وأمره بتنزيه نفسه عمّا يدعو إليه الشهوات، ويتطلّع إليه النزوات، وأن يضبطها ضبط الحليم، ويكفّها كفّ الحكيم، ويجعل عقله سلطاناً عليها، وتمييزه آمراً ناهياً لها، فلا يخلع لها عذراً إلى صبوةٍ ولا هفوة، ولا يطلق منها عناناً عند ثورةٍ ولا فورة، فإنّها أمّارة بالسوء، مُنْصَبَّةٌ إلى الغيّ، فالحازم يتّهمها عند تحرّك وَطْرِه وإربه، واهتياج غيظه وغضبه، ولا يدع أن يعضّها بالشكيم، ويعركها عرك الأديم، ويقودها إلى مصالحها بالخزائم، ويعتقلها عن مقارفة المحارم والمآثم، كي ما يعزّ بتذليلها وتأديبها، ويجلّ برياضتها وتقويمها، والمُفرّط في أمره يُطْمَحُ به إذا طَمِحَت، فيجمَحُ معها أنّى جَمَحَتْ، ولا تلبّث أنّ

---

١٣. سورة التوبة، الآية ١١٩.

١٣. سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

١٤. سورة فصّلت، الآية ٤١ و٤٢.

ورده حيث أصدر، ويُلجئه إلى أن يعتذر، ويقيمه مقام النادم الواجم، ويتنكّب به سبيل الراشد السالم.

وأحقّ من تحلّى بالمحاسن، وتصدّى لاكتساب المحامد، من ضَرَبَ بمِثْل سهمه في نسب أمير المؤمنين الشريف، ومنصبه المنيف، واجتمع معه في كفاية العترة الطاهرة، واستظلّ بأوراق الدوحة الفاخرة، فذاك الذي يتضاعف له المآثر إن آثرها، والمثالب إن أسَفَّ إليها، ولا سيّما من كان مندوباً لسياسة غيره، ومُرَشَّحاً للتقلّد على أهله، أو ليس يفي بإصلاح ما بين جنبيه، وكان من أعظم الهجنة أن يأمر ولا يأتمر، ويزجر ولا يزدجر، قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[15].

وأمره بتصفّح من وُلِّيَ عليهم، واستقراء مذاهبهم، والبحث عن بواطنهم ودخائلهم، وأن يعرف لمن تقدّمت قَدَمُهُ منهم، وتظاهر فضلُهُ فيهم منزلَتَهُ، ويوفّيه حقّه ورتبته، وينتهي في إكرام جماعتهم إلى الحدود التي توجبها أسبابهم وأقدارهم، وتقتضيها مواقعهم وأخطارهم، فإنّ ذلك يلزمه لسببين: أحدهما يخصّه وهو النسب بينه وبينهم، والآخر يعمّه والمسلمين جميعاً، وهو قول الله جلّ ثناؤه ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[16]. فالمودّة لهم، والإعظام لأكابرهم، والإسبال على أصاغرهم، متضاعف الوجوب عليه، متأكّد اللّزوم له، ومن كان منهم في دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتنكوا وجُذْعان لم يُقْرِحُوا، إلى ما يزري بأنسابهم، ويغضّ من أحسابهم، عَذَلَهُمْ وأَنَّبهم، ونهاهم ووعظهم، فإن نزعوا وأقلعوا فذلك المراد بهم، والمقصود إليه فيهم، وإن أصرّوا وتتابعوا نالهم من العقوبة بقدر ما يَكُفّ ويَرْدَعُ، فإن نفع وإلّا تجاوزه إلى ما يُوجِعُ ويَلْذَعُ، في غير تطرّقٍ لأعراضهم، وانتهاكٍ لأحسابهم.

فإنّ الغرض فيهم الصيانة لا الإهانة، والإزالة لا الإذالة، وإذا وجبت عليهم الحقوق، أو تعلّقت دعاوي الخصوم، قادهم إلى الإعفاء بما يصحّ منها ويجب، والخروج إلى سَنَن الحقّ فيما يشتبه ويلتبس، ومتى لزمتهم الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها، بعد أن تثبت الحمائم، وتصحّ وتبيّن وتتّضح، ويتجرّد عن الشكّ والشبهة، ويتجلّى من الظنّ والتهمة، فإنّ الذي يستحبّ في حدود الله أن تُدرأ عن عباده مع نقصان اليقين والصحّة، وأن يُمضى عليهم مع قيام الدليل والبيّنة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[17].

وأمره بحياطة هذا النسب الأطهر، والشرف الأفخر، عن أن يدّعيه الأدعياء، أو يدخل فيه الدُّخلاء، ومن انتمى إليه كاذباً، وانتحله باطلاً، ولم يوجد له ثَبَتٌ في الشجرة، ولا مصداق عند النسّابين المَهَرَة، أوقع به من العقوبة ما يستحقّه، ووَسَمَهُ بما يُعلم به كِذبُهُ وفسقُه، وشهّره شُهرةً ينكشف بها غشّه ولُبسه، وينزجر بها غيره ممّن تُسوّل له مثلَ ذلك نفسُه.

وأن يحصن الفروج عن مناكحة من ليس كفواً لها، ولا مشاركاً في شرفها وفخرها، حتّى لا يطمع في المرأة الحسيبة النسيبة إلّا من كان مثلاً لها، مساوياً ونظيراً موازياً، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[18].

وأمره بمراعاة متبتّلي أهله ومتهجّديهم، وصلحائهم ومجاوريهم، وأكابرهم [؟] وأصاغرهم، حتّى تستدّ الخلّة من أحوالهم، وتدرّ الموادّ عليهم، وتتعادل أقساطهم فيما يصل إليهم من وجوه أموالهم، وأن يزوّج الأيامى، ويرتّي اليتامى، ويلزمهم المكاتب، ليتلقّنوا القرآن، ويعرفوا فرائض الإيمان، ويتأدّبوا بالآداب اللائقة بذوي الأحساب، فإنّ شرف الأعراق محتاج إلى شرف الأخلاق، ولا حمد لمن شَرُفَ نسبُه وسَخُفَ

سال نمبر شمارہ اول دوم
بھارتستان ۱۳۹۳

۱۵. سورة البقرة، الآية ۴۴.
۱۶. سورة الشورى، الآية ۲۳.
۱۷. سورة البقرة، الآية ۲۲۹.
۱۸. سورة الأحزاب، الآية ۳۳.

أدبُه. إذا كان لم يكتسب الفخر الحاصل له بفضل سعي ولا طلب. ولا اجتهاد ولا دأبٍ. بل بصنعٍ من الله له. ومزيدٍ في المنّة عليه. وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطيّة. والاعتداد بما فيها من المزيّة. وإعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب. والترفّع عن الرذائل والمثالب.

وأمره بإجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى. فيما أمره أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر في المظالم. والأخذ للمظلوم من الظالم. وأن يجلس للمترافعين إليه جلوساً عاماً. ويتأمّل ظلاماتهم تأمّلاً تامّاً. فما كان منها متعلّقاً بالحكم ردّه إليه. ليحمل الخصوم عليه. وما كان طريقه طريق الغَشْم والظلم والتغلّب والغصب قبض عنه المبطلة. وثبت فيه اليد المستحقّة. ويجري في قضاياه أن تكون موافقةً للعدل. ومجانبةً للجَدَل. فإنّه غايَتَيْ الحاكم وصاحب المظالم واحدة. وهي إقامة الحقّ ونصرته. وإبانته وإنارته. وإنّما يختلف سبيلاهما في النظر. إذ الحاكم يعمل على ما ثبت وظهر. وصاحب المظالم يفحص عمّا غمض واستتر. وليس له مع ذلك أن يردّ لحاكمٍ حكومةً ولا نقل [؟] له قضيّة. ولا يتعقّب ما يُنفذه ويمضيه. ولا يتتبّع ما يحكم به ويقضيه. والله يهذّبه ويسدّده. ويوفّقه ويرشده.

وأمره أن يُسيِّر حجيج بيت الله إلى مقصدهم، ويحميهم في بدأتهم وعودتهم، ويرتّبهم في مسيرهم ومسلكهم، فيرعاهم في آناء ليلهم ونهارهم، حتّى لا تنالهم شدّةٌ، ولا تصل إليهم مَعَرَّةٌ، وأن يريحهم في المنازل، ويوردهم في المناهل، ويناوب بينهم في النهل والعَلَل، ويمكّنهم من الارتواء والاكتفاء، مجتهداً في الصيانة لهم، ومعذِّراً في الذبّ عنهم، ومتلوّماً على متأخّرهم ومتخلّفهم، ومنهضاً لضعيفهم ومهيضهم، فإنّهم حجّاج بيت الله الحرام، وزوّار قبر رسوله عليه [وآله] الصلاة والسلام، قد هاجروا الأوطان، وفارقوا الأهل والإخوان، وتجشّموا المغارم الثقال، وتعسّفوا السهول والجبال، يلبّون دعاء الله ويطيعون أمره، ويؤدّون فرضه، ويرجون ثوابه، وحقيق على المسلم المؤمن أن يحرسهم متبرّعاً، ويحوطهم متطوّعاً، فكيف من وُلِّيَ ذلك وضمنه، وتقلّده واعتنقه، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[١٩].

وأمره بأن يراعي أُمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها. وأقطارها وأكنافها. وأن يجبيَ أموال وقوفها. ويستقصي جميع حقوقها. وأن يلمّ شَعَثَها. ويسدّ خَلَلها. بما يتحصّل من هذه الوجوه قِبَله. حتّى لا يتعطّل رسمٌ جرى فيها. ولا تنتقض عادةٌ كانت لها. وأن يكتب اسم أمير المؤمنين على ما يعمّره منها. ويذكر اسمه بعده. بأن عمارتها جرَت على يده وصلاحها. أدّاه قول أمير المؤمنين إلى فعله. فقد فسح له أمير المؤمنين في ذلك. تنويهاً باسمه. وإشادةً بذكره. وأن يولّي من قِبَله مَنْ حَسنتْ أمانته. وظهرت عفّته وصيانته. فقد قال الله جلّ من قائل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[٢٠].

وأمره أن يستخلف على ما يرى الاستخلاف عليه من هذه الأعمال في الأمصار الدانية والنائية. والبلاد القريبة والبعيدة. مَنْ يثق به من صلحاء الرجال. ذوي الوفاء والاستقلال. وأن يعهد إليهم مثل الذي عُهِدَ إليه. ويعتمد عليهم في مثل ما اعتُمِد عليه. ويستقرئ مع ذلك آثارهم. ويتعرّف أخبارهم. فمن وجده محموداً أقرّه ولم يُزِلْه. ومن وجده مذموماً صرفه ولم يُمْهِله. واعتاض منه من تُرجى الأمانة عنده. وتكون الثقة معهودة منه.

وأن يختار لكتابته وحجبته والتصرّف فيما قرب منه وبَعُد عنه من يزينه ولا يشينه. وينصح له ولا يغشّه. ويجمّله ولا يهجّنه.

---

١٩. سورة آل عمران. الآية ٩٧.
٢٠. سورة التوبة. الآية ١٨.

من الطبقة المعروفة باللُّطف، المتصوّنة عن التَّطف، ويجعل لهم من الأرزاق الكافية، والأُجرة الوافية، ما يصدّهم عن المكاسب الذميمة، والمآكل الوخيمة، فليس تجب عليهم الحجّة إلاّ مع إعطاء الحاجة. قال الله تعالى: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى»[21].

وأمره أن يكتب لمن تقوم بيّنة عنده، وتنكشف حجّته له، إلى أصحاب المَعاوِن بالشدّ على يديه، وإيصال حقّه إليه، وحسم الطمع الكاذب فيه، وقبض اليد الظالمة عنه، إذ هم مندوبون للتصرّف بين أمره ونهيه، والوقوف عند رسمه وحدّه.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجّته لك وعليك، قد أنار فيه سبيلَك، وأوضح دليلَك، وهداك لرشدك، وجعلك على بيّنة من أمرك. فاعمل به ولا تخالفه، وانتهِ إليه ولا تتجاوزه، وإن عرض لك أمر يعجزك الوفاء به، ويشتبه عليك وجه الخروج منه، أنْهَيتَه إلى أمير المؤمنين مبادراً، وكنتَ إلى ما يأمرك به صائراً، إن شاء الله تعالى.

وكتب في مستهلّ شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة.

إمارة الشريف المرتضى على الحجّاج

بعد وفاة الشريف الرضي في سنة ٤٠٦ هـ انتقلت مناصبه كلّها إلى أخيه الأكبر الأعلم الشريف المرتضى، فتولّها إلى آخر حياته سنة ٤٣٦ هـ. وبما أنّ قداسة هذه المناصب يقتضي أن تكون على عهدة شخص ذا صلاحيّات عديدة الذي له موقع دينيّ اجتماعي متميّز في أوساط المسلمين. فعلى هذا جعل الخليفة هذه المناصب للشريف المرتضى الأديب الشاعر المتكلّم الفقيه الجليل المحترم الوجيه، والمحتمل أنّه في كثير من السنين لم يرافق الحجيج في ذهابهم وإيابهم، بل جعل نائباً عنه يرافقهم من مبدء السفر إلى الحرمين الشريفين حتّى الرجوع إلى العاصمة بغداد، فلذلك لا نرى له ظهوراً واسماً في أُمراء الحج.

١. قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٠٦ هـ:

وفي يوم السبت الثالث من صفر قُلِّد الشريف المرتضى أبو القاسم الموسوي الحجّ والمظالم ونقابة الطالبيّين، وجميع ما كان لأخيه الرضي، وجمع الناس لقراءة عهده في الدار الملكيّة، وحضر فخر المُلك والأشراف والقضاة والفقهاء، وكان في العهد: **هذا ما عاهد عبد الله أبو العبّاس أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين، إلى عليّ بن موسى العلوي، حين قرّبته إليه الأنساب الزكيّة، وقدّمته لديه الأسباب القويّة، واستظلّ معه بأغصان الدوحة الكريمة، واختصّ عنده بوسائل الحرمة الوكيدة، فقلّدهُ الحجّ والنقابة، وأمره بتقوى الله**. وذكر كلاماً فيه طول من إيصائه بالخير واللطف فيما استرعى[22].

يقول الواثقي: رغم تتبّعنا لم نعثر حتّى الآن على نصّ العهد بتمامه.

٢. قال ابن عنبة في ترجمة الشريف المرتضى:

تولّى نقابة النقباء، وإمارة الحاجّ، وديوان المظالم، على قاعدة أبيه ذي المناقب وأخيه الرضي، وكان توليته لذلك بعد أخيه الرضي، وكان مرتبته في العلم عالية فقهاً وكلاماً وحديثاً ولغةً وأدباً وغير ذلك، وكان متقدّماً في فقه الإماميّة وكلامهم، ناصراً لأقوالهم[23].

٣. ورد في ديوان الشريف المرتضى، ج ٢، ص ٥١٦-٥١٩ قصيدةً أنشأها عند منصرفه من الحجّ، وهي ٥٢ بيتاً، أوّلها:

مَاذَا عَلَى الرِّيمِ لَوْ أَحْيَا فَحَيَّانَا
وَقَدْ مَرَرْنَا عَلَى عُسْفَانَ رُكْبَانَا

وآخرها:

٢١. سورة النجم، الآية ٣٩-٤١.

٢٢. المنتظم، ج ١٥، ص ١١١.

٢٣. عمدة الطالب، ص ٢٤٩.

كَأَنَّنِي مِنْهُ فِي خَضْرَاءَ أَوْسَعَهَا
نُوْرُ السَّمَاكَيْنِ تَهْطَالاً وتَهْتَانَا

٤. قال ابن معصوم المدني السيّد علي خان ابن الميرزا أحمد الشيرازي في الدرجات الرفيعة: «كان كمال الشرف محمّد نقيباً، ولاّه الشريف المرتضى نقابة الكوفة. وإمارة الحجّ. حجّ بالناس مراراً».[٢٤]

٥. في ديوان الشريف المرتضى. وردت قصيدة له في رثاء أبي الحسن محمّد بن الحسن العلوي زيدي النسب. وقد صُدِّرت القصيدة بهذا الكلام: «هو من أشراف العلويّين. حجّ بالناس نيابةً عن الشريف المرتضى سنين كثيرة. وكان أديباً. وله شعر مقبول. توفّي سنة ٤١٥هـ. ورثاه المرتضى بهذه المرثية».[٢٥]

٦. قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني:

محمّد بن الحسن بن علي بن حمزة. أبو الحسن. كان نائباً للسيّد المرتضى في إمارة الحجّ عدّة سنين. كما ذكره في رياض العلماء. وروى نسبه في مجالس المؤمنين هكذا: «أبو الحسن محمّد بن الحسن بن علي بن حمزة بن محمّد بن الحسن بن محمّد بن علي بن محمّد بن يحيى بن زيد الشهيد ابن زين العابدين الحسيني العلوي الأقساسي الكوفي». وحكى ترجمته كذلك عن ابن كثير الشامي. وأنّه مدح فصاحته وبلاغته وجودة شعره ونيابته عن السيّد المرتضى سنين إلى أن توفّي سنة ٤١٥».[٢٦]

٧. ورد في أمالي الشريف المرتضى المسمّى بغرر الفرائد ودرر القلائد. في آخر المجلس الأخير وقبل التكملة: «هذا آخر مجلس أملاه سيّدنا أدام الله علوّه. ثمّ تشاغل عنه بأُمور الحجّ».

يقول الواثقي: كان هذا قُبيل يوم الخميس ٢٨ جمادى الأُولى سنة ٤١٣هـ. واستناداً إلى هذا الكلام أو غيره ادّعى بعض المؤلّفين أنّ الأمالي هي ثمرة المجالس التي أقامها الشريف المرتضى طول أسفاره إلى الحجّ. ولكنّا لم نجد على هذا الادّعاء دليلاً.

لطيفة

ما ورد في المصادر من قائمة أُمراء الحجّ مرتّباً على السنين المتوالية كلّها لأُمراء الحجّ الأصليّين الذين كانوا أُمراءً على الموسم في مكّة المعظّمة والمواقف المشرّفة. وأمّا في كلّ مملكة من البلاد الإسلاميّة فكان في بعض الأزمنة شخص منصوب من قِبل سلطان كلّ مملكة ليقوم بأمر حجّاج تلك المملكة ويجمعهم ويهديهم في الطريق. ويحفظهم عن المهالك. ويحرسهم عن قطّاع الطريق والمعتدين.

وهذا الأمر لم يهتمّ بدراسته باحثٌ ولا كاتب. فمثلاً يلزم على الباحثين الإيرانيّين البحث عن قوافل الحجّاج الإيرانيّين ورؤسائهم. ومن كان منصوباً لهذا الأمر من ناحية السلاطين. ومن كان رئيساً للقافلة لا بنصب السلطان. بل من اهتمام نفسه بهذا المهمّ. فيجمع الحجّاج. ثمّ يتّخذون طريقهم من العراق فيصيرون جزءاً من الركب العراقي إلى الحجّ. أو يتّخذون طريقهم بحراً وبرّاً من طرقٍ شتّى. وهؤلاء كانوا أُمراء الحجّ الفرعيّين.

٢٤. الدرجات الرفيعة. ص د.د.
٢٥. ديوان الشريف المرتضى. ج ٢. ص ١٤٧.
٢٦. طبقات أعلام الشيعة. (النابس في القرن الخامس). ص ١٦٠.